



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies



تأملات في موسم حج ١٤٤٥: انطباعات الحجاج والمتطوعين

مارك ثومبسون ونايف الحارثي

مسارات

مايو، ٢٠٢٥م / ذو القعدة ١٤٤٦هـ



تأملات في موسم حج ١٤٤٥: انطباعات الحجاج والمتطوعين

المحتويات

٧	ملخص
٨	خلفية
٨	حج ١٤٤٥
١٣	تجربة الحاج
٢٠	تجربة المتطوع
٢١	تجربة التطوع
٢٤	كلمة ختامية: «أيام الحج المباركات»

ملخص

الحجّ هو رحلة لأداء المناسك في مكّة المكرمة، وهو واجبٌ على كل مسلمٍ بالغٍ مرّةً واحدةً على الأقلّ في حياته. وكلّ من يتوجّه قاصدًا حج بيت الله الحرام، فإنّه، وحتى يعود، يُطلّق عليه لقب «ضيف الرحمن» طوال فترة حجّه. والحال أنّ الحجّ هو بمثابة رحلة ترمي إلى تطهير الروح وتجديد الذهن، وما من مسلمٍ إلا ويتمنى أن يقوم بهذه الشعيرة. غالبًا ما يشعر من يتّمون رحلة الحج بأنهم عاشوا تجربة تحول عميقة أو ما يُطلّق عليه «رحلة العمر» -حسب المصطلح الشائع. ومهما تحدثنا عن أهمية الحج فلن نوفيه حجمه وقيّمته، فهو تجربةٌ روحانيةٌ وإنسانيةٌ «حيّة» عميقة، رغم ما يجده الحجاج والمنظمون والمتطوعون من تحدياتٍ جسديّةٍ ونفسيّةٍ مختلفة. تتناول هذه الورقة حجّ عام ١٤٤٥ (٢٠٢٤) من منظورين شخصيين مختلفتين: منظور الحاج ومنظور المتطوع. وهدفنا هو تقديم لمحةٍ عن تجربة الحج لعام ١٤٤٥هـ من خلال شخصين عاشا تفاصيلها.

خلفية

الحجّ هو رحلة لأداء المناسك في مكة المكرمة، وهو واجبٌ على كل مسلمٍ بالغٍ مرةً واحدةً على الأقل في حياته. وكلّ مَنْ يتوجّه قاصداً حج بيت الله الحرام، فإنّه، وحتى يعود، يُطلق عليه لقب «ضيف الرحمن» طوال فترة حجّه. والحال أنّ الحج هو بمثابة رحلة ترمي إلى تطهير الروح وتجديد الذهن، وما من مسلمٍ إلا ويتمنى أن يقوم بهذه الشعيرة المشاركة في هذه الرحلة. غالباً ما يشعر مَنْ يُتمون رحلة الحج بأنهم عاشوا تجربة تحوّل عميقة أو ما يُطلق عليه «رحلة العمر» -حسب المصطلح الشائع. ومهما تحدثنا عن أهمية الحج فلن نوفيه حجمه وقيّمته، فهو تجربةٌ روحانيةٌ وإنسانيةٌ «حيّة» عميقة، رغم ما يجده الحجاج والمنظمون والمتطوعون من تحدياتٍ جسديّةٍ ونفسيّةٍ مختلفة. تتناول هذه الورقة حجّ عام ١٤٤٥ (٢٠٢٤) من منظورين شخصيين مختلفتين: منظور الحاج ومنظور المتطوع. وهدفنا هو تقديم لمحةٍ عن تجربة الحج لعام ١٤٤٥هـ من خلال شخصين عاشوا تفاصيلها.

حج ١٤٤٥

خلال مناسك الحج، يتأثى الحجيجُ بهدي النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويستذكرون أحداثاً بارزةً في حياة النبيّين إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام. ولطالما كان أداء الحج مهمة شاقة للغاية على مدار التاريخ، وكان الحجاج يواجهون صعوباتٍ جمة أثناء سفرهم من وإلى مكة المكرمة (والمدينة المنورة)، لا سيما تلك المشقة الصحيّة والمتعلّقة بالسلامة.

ومثلما كتب نير شافير (Nir Shafir)، فإنه خلال العهد العثماني، كان بعض الحجاج يسافرون على الجمال أو الخيول، في حين كان القليل منهم يُحمل في الهودج. أما الغالبية العظمى، فكانوا يسافرون سيرًا على الأقدام^(١). واليوم، أصبح الحج أيسر منالاً وأقل كلفةً على المسلمين حول العالم من أي وقتٍ مضى، خاصةً وأنّ حكومة المملكة العربيّة السعوديّة تخصص ميزانيةً كبيرةً ليكون أداء الحج أكثر سهولةً وصحةً وأماناً للحجاج وللمتطوعين وحتى للموظفين العاملين عليه.

(١) انظر، على سبيل المثال، نير شافير، "In an Ottoman Holy Land: The Hajj and the Road from Damascus, 1500-1800"، تاريخ الأديان ٦٠.١ (٢٠٢٠): ٣٦-١. في تلك الفترة، كان الحج مصدر دخل رئيسي لمنطقة مكة المكرمة/جدة. وعائدات الحج اليوم تعد بالغة الأهمية من منظور مالي، إذ يُدرّ ما يُقدّر بنحو ١٢ مليار دولار سنويًا للمملكة العربيّة السعوديّة، على الرغم من أن هذه الإيرادات تُستخدم لتحسين خدمات الحج والعمرة.

تنطلق مناسك الحج في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، وتستمر حتى اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه. وفي العام ٢٠٢٤م، وافقت أيام مناسك الحج الفترة من ١٤ إلى ١٩ يونيو/حزيران. وتشير بيانات الهيئة العامة للإحصاء بالمملكة إلى أن ١,٨٣٣,١٦٤ حاجًا أدوا مناسك الحج في العام ١٤٤٥هـ، منهم ١,٦١١,٣١٠ حاجًا من خارج المملكة، و٢٢١,٨٥٤ مواطنًا ومقيمًا من حجاج الداخل^(٢)؛ علمًا أن هذا الرقم لا يشمل الحجاج غير النظاميين؛ وهم هؤلاء الحجاج الذين لا يحملون تصاريح رسمية للحج (سنسلط الضوء على هذا الجانب لاحقًا).

وفي إطار الجهود المبذولة لضمان سلامة الحجاج، توفر المملكة منظومة صحية متكاملة تشمل ١٨٩ مستشفى ومركزًا صحيًا وعيادة متنقلة، بسعة تزيد على ٦٥٠٠ سرير، يدعمها فريق طبي ضخم يضم أكثر من ٤٠ ألف موظفٍ ومتطوع^(٣).

ولعل الكثير من غير المسلمين لا يعلمون بأن هناك ثلاثة أنواعٍ للحج يمكن للحاج الاختيار من بينها:^(٤)

- حج التمتع: وهو أكثر أنواع الحج شيوعًا، ويتضمن أداء مناسك العمرة، ثم إتمام أركان الحج خلال موسم الحج من اليوم الثامن وحتى الثالث عشر من ذي الحجة، حيث يجمع الحاج الذي ينوي حج التمتع بين مناسك العمرة والحج. ويشترط لإتمام هذا النوع من الحج ذبح الهدي. ويوصف الحاج الذي يؤدي هذا النوع من الحج «متمتعًا».
- في حج الأفراد، يقتصر الحاج على أداء مناسك الحج دون ذبح الهدي، ويوصف بـ«المفرد».
- أما حج القران: هو الإحرام بالحج والعمرة معًا، ويتطلب تقديم الهدي. ويوصف الحاج في هذه الحالة «قارنًا».

(٢) بلغ إجمالي عدد الحجاج الذكور هذا العام ٩٥٨,١٣٧ حاجًا، والإناث ٨٧٥,٠٢٧ حاجة. ويُظهر توزيع الحجاج من الخارج أن ٣, ٢٢٪ منهم قدموا من الدول العربية، و٣, ٦٣٪ - وهم النسبة الأكبر - من الدول الآسيوية غير العربية، و٣, ١١٪ من الدول الأفريقية غير العربية، و٢, ٣٠٪ من أوروبا والأمريكيتين وأستراليا وغيرها. وقد وصل معظم الحجاج من الخارج (١,٥٤٦,٣٤٥) عن طريق الجو، بينما دخل ٦٠,٢٥١ منهم عبر المنافذ البرية، و٤,٧١٤ عن طريق البحر. انظر غنوة عبيد، «حج ٢٠٢٤ بالأرقام: الحج السنوي يستقطب أكثر من ١,٨٣ مليون معتمر»، قناة العربية الإنجليزية، ١٦ يونيو ٢٠٢٤، english.alarabiya.net/News/saudi-arabia/2024/06/16/hajj-2024-in-numbers-annual-pilgrimage-draws-over-1-83-mln-worshippers

(٣) انظر، على سبيل المثال، «السعودية تُعلن نجاح موسم الحج»، الشرق الأوسط، ١٨ يونيو ٢٠٢٤، english.aawsat.com/gulf/5032066-saudi-arabia-announces-success-Hajj-season. للتطوعون يرتدون سترة سوداء رسمية وفرتها وزارة الحج والعمرة لتمييزهم عن مئات الآلاف من الحجاج.

(٤) انظر <https://mawasim.com/ar/hajj/about-hajj>

وفي إطار الاستعداد للحجّ، تلاحظ نادية قائدي (Nadia Caidi) إلى أن الحاج يحتاج لاجتياز سلسلة من المراحل التي تتضمن أبعادًا مادية وروحية ومعلوماتية^(٥). واليوم، تعدّ منصة «نُسك حج»، «بوابتك لرحلة العمر»^(٦)، المصدر الرئيسي للمعلومات التي يحتاجها الحجاج سواءً المحليين أو القادمين من الخارج (للحج أو العمرة)^(٧). وبحسب موقعها الرسمي، فإن «نُسك حج» هي منصة شاملة تحت إدارة وزارة الحج والعمرة^(٨) تقدم للحجاج، من البلدان المستهدفة، مجموعة متنوعة من باقات الحج لضمان تجربة حج يسيرة وسلسة، وذلك عن طريق مقدمي الخدمات المعتمدين^(٩). كذلك، توجد العديد من المواقع الأخرى التي تُقدّم معلومات مفيدة للحجاج؛ مثل: موقع HajjUmrahPlanner.com^(٩).

وفي موسم حج ١٤٤٥، بدأت تجربة الحاج بحجز باقة حج رسمية من خلال التطبيق ودفع قيمتها إما بالكامل أو مقسطةً على ثلاث دفعات. أما حجاج الداخل في ذلك العام، فكانوا مخيرين بين أربع باقاتٍ تتراوح من الخيار الأساسي إلى الخيار الأكثر شموليةً (وراحة). وفي كل باقة، للحجاج اختيار مقدم الخدمة المصروح له، كما أنه يحصل على كافة تفاصيل الحملة من (الإقامة) والوجبات والنقل وعدة جوانب أخرى. وبمجرد سداد كامل المبلغ، يتم إصدار تصريح حج رسمي للحجاج، وبدونه يستحيل على الحاج دخول مكة المكرمة بعد يوم ٢ يونيو ٢٠٢٤. ومن أجل ردع الحجاج غير النظاميين، أعلنت وزارة الداخلية تغريم من لا يحملون تصاريح مبلغ ١٠,٠٠٠ ريال سعودي^(١٠). من جهة أخرى، كانت هناك ثلاثة لقاحاتٍ مطلوبةٍ للحج أيضًا: جرعة معززة من لقاح كوفيد-١٩، ولقاح الإنفلونزا الموسمية، ولقاح التهاب السحايا. وبعد استكمال هذه التطعيمات في عيادة معتمدة من الدولة، تُصدّر شهادة تطعيم الحج وتحميلها على حساب الحاج عبر منصة «صحتي» التابع لوزارة الصحة السعودية^(١١).

(٥) نادية قائدي «أداء مناسك الحج: الرحلة بالأرقام»، المجلة الدولية للمعلومات والتنوع والشمول ١، ٣ (٢٠١٩): ٤٤-٧٦.

(٦) انظر <https://Hajj.nusuk.sa/>

(٧) انظر www.haj.gov.sa/Home

(٨) انظر <https://Hajj.nusuk.sa/>

(٩) انظر <https://Hajjumrahplanner.com/>

(١٠) “SR10,000 fine for entry in Makkah without a Hajj permit from June 2” تقرير صحيفة سعودي جازيت، ٧ مايو ٢٠٢٤،

www.saudigazette.com.sa/article/642696

(١١) انظر www.moh.gov.sa/en/eServices/Sehhaty/Pages/default.aspx

وفي إطار التزامها الصادق باعتماد التقنيات المتقدمة للارتقاء بتجربة الحج، شهد موسم حج ١٤٤٥ إصدار المملكة لـ «بطاقة نسك» جديدة لجميع الحجاج، وإدراجها متطلبًا إلزاميًا لدخول المملكة، واعتمادها هوية رسمية^(١٢). تتضمن «بطاقة نسك» صورة الحاج، واسمه، وجنسيته، واسم الحملة، ورمز الاستجابة السريعة (QR code) الذي يوفر تفاصيل إضافية وإثباتًا لمصادقتها عند مسحها من قبل موظفي أمن الحج. لقد شكلت بالفعل وثيقة هوية شاملة لأي حاج يؤدي فريضة الحج، وكان من الضروري حملها طوال فترة الحج. تصدر «بطاقة نسك» لجميع الحجاج المسجلين مطبوعاً ورقمية عبر صفحة نسك الخاصة بالحاج^(١٣). وبالنسبة إلى الحجاج الأجانب، فقد صُممت «بطاقة نسك» لتبسيط إجراءات الدخول إلى المملكة العربية السعودية والوصول إلى مخيمات الحجاج (الحملات) في منى، بهدف تعزيز أمنهم في المواقع المحددة سلفاً لإقامتهم. ويستمر تطوير المبادرات التي انطلقت في السنوات السابقة؛ مثل: استخدام الأساور الذكية لمتابعة صحة الحجاج، وإدارة الحشود، وتطوير تطبيقات الأجهزة الذكية لتزويد الحجاج بالمعلومات الأساسية والمحدثة.

وقد شهدت المملكة درجات حرارة عاليةٍ للغاية خلال موسم حج ١٤٤٥ هـ الذي تزامن مع شهر يونيو ٢٠٢٤م. وكان يوم عرفة ويوم النحر (وهما اليومان الثاني والثالث من الحج) الأكثر حرارة، حيث وصلت درجات الحرارة إلى ٥٢ درجة مئوية. ورغم أن أفراد الأمن والمتطوعين باشروا توزيع ورش المياه بانتظام على رؤوس الحجاج، إلا أن الكثيرين -وبعضهم من ضباط الأمن- أصيبوا بالإغماء بسبب الحرارة الشديدة^(١٤). ومع الأسف، تُوفي بعض الحجاج المسنين والآخرين المصابين بأمراض مزمنة، ممن كانوا أكثر عرضةً لدرجات الحرارة المرتفعة خلال موسم الحج، في حين أجرت الفرق الصحية أكثر من ٤٦٥,٠٠٠ عملية جراحية، وعولج ١٤١,٠٠٠ مريضاً لا يحملون تصاريح للحج^(١٥).

(١٢) انظر www.saudigazette.com.sa/article/642588

(١٣) تقدم منصة «نسك» أيضاً شهادة (باللغة العربية أو الإنجليزية) عند إتمام مناسك الحج بنجاح.

(١٤) من مشاهدات المؤلف.

(١٥) القيود المفروضة على عدد الحجاج للسموح لهم بأداء فريضة الحج من مختلف الدول، أدت وللأسف، إلى ظهور صناعة مربحة تتمثل في «وكالات السفر» التي تعد بنقل الحجاج إلى المملكة العربية السعودية بشكل غير رسمي. وغالبًا ما تكون هذه الوعود مصحوبة بضمانات نقل وإقامة قد لا تُنفذ أو قد تكون دون المستوى المقبول. انظر مجدي سمعان، «بالنسبة للعديد من الحجاج المسلمين، الحج الخطر غير المصرح به هو الخيار الوحيد»، سي إن إن، ٢٥ يونيو/حزيران ٢٠٢٤.

[.edition.cnn.com/2024/06/25/middleeast/authorized-hajj-muslim-pilgrims-death-intl/index.html](https://edition.cnn.com/2024/06/25/middleeast/authorized-hajj-muslim-pilgrims-death-intl/index.html)

وقد أشار معالي وزير الصحة السعودي، فهد الجلاجل، إلى أن نحو ١٣٠٠ شخصٍ وافتهم المنية أثناء تأديتهم فريضة الحج في العام ١٤٤٥هـ، معظمهم ساروا مسافات طويلة دون حماية كافية من الحر الشديد، ٨٣٪ منهم لم يحملوا تصاريح للحج^(١٦). ولاحقًا، تبين أن نسبةً كبيرةً من الحجاج الذين لم يحملوا تصاريح كانوا من مصر، وأن ارتفاع عدد القتلى بين هؤلاء الحجاج -بحسب الحكومة المصرية- كان نتيجةً مباشرةً لحقيقة أن بعض وكالات السفر تجاهلت القواعد وأرسلت حجاجًا «غير مسجلين» رسميًا في قوائم الحج^(١٧). أضف إلى ذلك، غياب وكالات السفر التي سهلت سفر الحجاج غير النظاميين عن تقديم أي خدماتٍ لهم أثناء الحج، بما في ذلك توفير ما يكفي من المُن لمواجهة الحر الشديد^(١٨).

(١٦) "More than 1,300 pilgrims die during Hajj pilgrimage - most unauthorized" عرب نيوز، ٢٣ يونيو ٢٠٢٤، www.arabnews.com/node/2536146/saudi-arabia

(١٧) رنا طه، «مصر تُلقي باللوم في وفيات الحجاج على الوافدين «غير المسجلين» إلى مكة»، دويتشه فيله، 22 يونيو/حزيران 2024، www.dw.com/en/egypt-blames-Hajj-deaths-on-unregistered-mecca-arrivals/a-69446674

(١٨) نفس المرجع.

تجربة الحاج

مع أنني أدت العمرة سابقًا، إلا أن الحج تجربةً مختلفةً كليًا، وذلك نظرًا لحجمه الهائل وضخامة عدد المشاركين فيه، سواءً كانوا حجاجًا أو قوات أمنٍ أو متطوعين. فعلى سبيل المثال، سجلت مكة المكرمة والمشاعر المقدسة عام ١٤٤٥هـ كثافةً سكانية تجاوزت نيويورك بخمس أضعاف ومدينة طوكيو بتسعة أضعاف^(١٩). وباعتباره أحد أركان الإسلام الخمسة كما ذكرنا آنفًا، يجب على كل مسلم بالغ أداء الحج مرةً واحدةً على الأقل في حياته. وعليه؛ فإنّ اتخاذ قرار أداء الحج ليس أمرًا يُؤخذ على محمل الاستهانة، بل هو أمر لا بدّ من التعاطي معه بوصفه فرصةً لا تتكرّر في العمر-وهي كذلك بالفعل بالنسبة إلى الكثيرين^(٢٠). الاستعداد البدني والنفسي والروحي الشامل يعد أساسًا لنجاح الحج، وغياب هذا الاستعداد أو التقصير فيه يتنافى مع أهمية هذه الشعيرة، خاصةً مع محدودية عدد الحجاج المسموح لهم أداء فريضة الحج سنويًا. والحاج غير المُستعد، والذي قد لا يستفيد بشكلٍ كاملٍ من رحلة الحج، يُحلّ محلّ شخصٍ آخر كان بإمكانه الاستفادة منها.

ولنأخذ مثالًا شخصيًا: ففي عام ١٤٤٤هـ (٢٠٢٣م)، دعاني صديق سعودي مقرب لمرافقته في أداء الحج، وذلك قبل أسبوعين فقط من بدء الموسم. ورغم أن الظروف كانت مواتية من حيث الوقت والإمكانات، فإنني كنت مدرّجًا تمامًا أنني لست مستعدًا نفسيًا أو روحيًا؛ فالحج لا يُقارن بعطلة قصيرة يدعوك صديق لمشاركته فيها. لقد كان واضحًا لي أن قرار أداء الحج يتطلب تحضيرًا يمتد على مدى عدة أشهر، حتى أكون مستعدًا لهذه الرحلة العظيمة كما ينبغي^(٢١). والواقع أن هذا أمر بالغ الأهمية؛ إذ تبدأ رحلة الحج الحقيقية بالإعداد والنية^(٢٢).

ولأنني أحد الحجاج المقيمين بالمملكة، فقد ساعدني مقدم خدمات الحج كي أستعد لرحلة الحج^(٢٣).

(١٩) <https://Hajj.nusuk.sa/>

(٢٠) يُسمح للمواطنين السعوديين والمقيمين بأداء فريضة الحج كل خمس سنوات.

(٢١) استعدادًا لهذه الرحلة الروحية، عدت لمشاهدة فيلمي المفضل "Le Grand Voyage" (2004)، أول عملٍ سينمائيٍ يحصل على تصريحٍ بالتصوير في مكة المكرمة خلال موسم الحج. انظر www.imdb.com/title/tt0361670/. كما أن الحفاظ على اللياقة البدنية الجيدة يحسن من تجربة الحج.

(٢٢) انظر www.islamic-relief.ie/Hajj-guide/

(٢٣) <https://x.com/itmamm3>

ولم تكتفِ الشركة بتقديم الدعم اللوجستي - مثل: إرسال الدليل الإرشادي المُفصّل^(٢٤)، وحقبة السفر المناسبة إلى غرفتي المُخصصة في منى قبل بضعة أيام من بدء المناسك^(٢٥) - بل نظّمت لعملائها أيضًا محاضراتٍ تعريفيةٍ مسائيّةٍ عن الحج (باللغتين العربية والإنجليزية). ومع ذلك، ورغم تكثيف استعدادي قبل الحج، كنت أشعر ببعض القلق كلما اقترب موعد هذه التجربة الروحانية الفريدة. كنتُ مُدرّكًا تمامًا لأهمية الحج وعظمته. لكن قلقي تبدّد بعد أن التقيتُ بمجموعةٍ صغيرةٍ من الحجاج الآخرين على متن الحافلة، والذين أصبحوا «إخواني الحجاج» طوال فترة الحج.

بعد إتمامنا إجراءات الإحرام^(٢٦) من ميقات الطائف^(٢٧)، تحرك المسافرون بالحافلات، وأنا منهم، إلى مكة المكرمة. في الليلة التي سبقت الحج، كانت الإجراءات الأمنية عند مدخل مكة مُشدّدة للغاية. فعلى سبيل المثال، الحافلات التي تقل الحجاج كانت مطالبةً بالتوقف عند ميقات الطائف، حيث يجري فحص تصاريح الحج، وعندها تُغلق الحافلات من قبل الأمن، ولا تُفتح أبوابها حتى تصل إلى أول نقطة تفتيشٍ على مشارف مكة المكرمة. وما إن تصل إلى مكة حتى تُدرك ما للحجّ من مهابةٍ وعِظَم^(٢٨) وأجواؤه الاستثنائية: تلك الأجواء المفعمة بالروحانية، والبهجة، والترقّب. وبالنسبة للعديد من الحجاج الأجانب، إنها حقًا «رحلة العمر»، حيث ينتظر الكثيرون غالبية حياتهم ليخوضوا هذه التجربة الروحانية العميقة. وهذا بحد ذاته كان يُشعرنِي بالخجل، لأنني كنت أدرك أن كلّ ما عليّ فعله هو السفر من الرياض إلى مكة فحسب، وليس القيام برحلة طويلة ومكلفة من خارج المملكة. ولهذا السبب، أحسستُ بالبركة، وشعرتُ بأنني محظوظٌ للغاية.

وبما أنني اخترتُ أداء حج القران، فقد طلب مني أداء العمرة في المسجد الحرام قبل التوجه إلى منى والشروع في مناسك الحج، بما في ذلك الطواف حول الكعبة عكس اتجاه عقارب الساعة سبعة أشواطٍ

(٢٤) تضمن ذلك معلوماتٍ مفصلة حول ما يجب وما لا يجب أخذه على سبيل المثال؛ مثل: مستحضرات التجميل الخالية من العطور، والمظلة، وكريم الوقاية من الشمس بعامل حماية +٥٠، وغيرها.

(٢٥) هذه نقطة تجمع الحجاج. أصل كلمة «منى» هو «الغرض» و«الرجاء» و«التدبير». انظر: www.islamicity.org/81286/the-spirituality-of-Hajj-mina/

(٢٦) الإحرام هو حالة الطهر التي يجب على الحاج والمعتمر أن يدخلها فيها قبل أداء النُسك. يدخل الحاج والمعتمر في هذه الحالة بعد التطهر، وارتداء لباس الإحرام، واستحاضار النية قبل عبور الميقات. انظر <https://Hajjumrahplanner.com/ihram/>

(٢٧) الميقات هو الحد الذي يجب على الحجاج عنده ارتداء ملابس الإحرام، ولا يجوز أن يتجاوزه الحاج أو المعتمر إلا محرمًا. انظر <https://Hajjumrahplanner.com/miqat/>

(٢٨) وصلنا في ليلة أول أيام الحج عام ١٤٤٥هـ.

كاملة، يبدأ كل منها وينتهي عند الحجر الأسود^(٢٩). ويلى الطواف السعي، وهو المشي ذهابًا وإيابًا بين جبلي الصفا والمروة المجاورين للكعبة في المسجد الحرام، سبعة أشواط، بمسافة إجمالية قدرها ٧ كيلومترات تقريبًا^(٣٠). وبعد الانتهاء من العمرة، توجهت مع مجموعتي الصغيرة إلى أماكن إقامتنا في أبراج منى لبدء مناسك الحج^(٣١).

تقع منطقة منى على بعد ثمانية كيلومترات شرق مكة المكرمة، وهي تعد نقطة تجمع للحجاج، وغالبًا ما يشار إليها باسم أكبر مدينة خيام في العالم^(٣٢). وبينما تضم مكة مزيجًا من الحجاج وغير الحجاج، فإن المنطقة الممتدة من منى فصاعدًا تكون مخصصة للحجاج فقط^(٣٣). وبعد الوصول إلى أماكن الإقامة المعدة لهم (حملتهم) في منى، سواءً قبيل يوم الحج أو في أوله، تكون آخر مراحل الاستعداد الروحي والنفسي للحج، حيث يحتسب الحجاج الأجر والثواب لما سيشهدونه خلال أيام الحج». وهنا تحديدًا، يعزم الحجاج أداء المناسك بأفضل صورة ممكنة، آملين فيما عند الله من الجزاء الأوفى^(٣٤).

وكما ذكرنا آنفًا، يعتمد نوع وجودة سكن الحاج على الباقية التي يختارها. فبينما يقيم معظم الحجاج في مدينة الخيام، كانت إقامتنا في سكنٍ مريحٍ يضم أربعة عشر سريرًا في أبراج منى، بجوار مدينة الخيام وعلى بُعد خطواتٍ من الجمرات^(٣٥).

(٢٩) انظر /Hajjumrahplanner.com/tawaf/

(٣٠) انظر /Hajjumrahplanner.com/safa-marwa/

(٣١) انظر مقالة بديع أبو النجا "Mina Towers Ready to Receive Pilgrims"، عرب نيوز، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٧، www.arabnews.com/node/305827

(٣٢) انظر /welcomesaudi.com/activity/mina-tented-city-Hajj-makkah

(٣٣) انظر /www.islamicity.org/81286/the-spirituality-of-Hajj-mina/

(٣٤) نفس المرجع.

(٣٥) الجمرات هي ثلاثة جدران حجرية، كانت في السابق أعمدة، ورميها فريضة من فرائض الحج. انظر أدناه،

و: www.islamiclandmarks.com/makkah-Hajj-places/jamarat



شكل ١: خارطة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

ولعل من أهم ما يثير الانتباه خلال الإقامة في مشعر منى هو الشعور بالانتماء والوئام واستشعار الحجاج للهدف من وجوده في هذا المكان. وهنا تتجلى روعة الحج وعظمه، حيث تغمر الأجواء الروحانية المكان، وتتجلى الوحدة والألفة بين الحجاج، وتسود مشاعر البهجة والمرح والتراحم بينهم. إنها فرصة رائعة للتعرف على أشخاص جدد، بل وربما لقاء أصدقاء قدامى، فقد شاءت الأقدار أن ألتقي بطلاب سابقين في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

أمّا ثاني أيام الحج هو يوم عرفة أو يوم الوقوف؛ وهو ذروة موسم الحج، ويومٌ بالغ الأهمية بالنسبة إلى المسلمين. فهو يوم عظيمٌ تنزل فيه رحمة الله على عباده، وفرصةٌ لتطهر من الذنوب ونيل مرضاة الله عز وجل. ويُتوقع من الحجاج في هذا اليوم تحديداً الإكثار من العبادات، ومن ذلك التعبد بالاستغفار والدعاء وطلب عفو الله ومغفرته. فيوم عرفة هو يوم غفرانٍ تنزل فيه الرحمة والبركات^(٣٦).

بعد صلاة الفجر، يتوجه الحجاج إلى عرفات، على بُعد حوالي أربعة عشر كيلومتراً من منى، إما سيراً على الأقدام أو بالحافلات، أو عبر قطار المشاعر الجديد. وهنا تبرز أهمية «التحرّك على دفعات» لدى

(٣٦) انظر <https://islamic-relief.org/qurbani/the-day-of-arafah/>

مسؤولي الحج، أي حركة مجموعاتٍ كبيرةٍ من الحجاج لأداء مناسك الحج في مواقع متنوعة. سافرت مجموعتي بقطار المشاعر المقدسة بين محطتي الجمرات وعرفات. وقد بدأ تشغيل هذه الخدمة الجديدة في موسم حج ١٤٤٥هـ^(٣٧)، ويشهد نقل أكثر من ٢,٢ مليون راكب بين تسع محطات في عرفات ومزدلفة ومنى، بإجمالي ٢,٢٠٦ رحلة^(٣٨). لقد كان تنظيم الحشود في المحطات مُبهرًا رغم كثافة الحجيج، وازدحام المحطات والقطارات، وكانت توجيهات أفراد الأمن والمتطوعين واضحة. هكذا، كانت رحلتنا إلى عرفات قصيرةً وسهلةً نسبيًا، ولم نقطع عن التلبية طوال الطريق^(٣٩).

يتوجه الحجاج إلى جبل عرفات (جبل الرحمة) وصعيد عرفات بشكلٍ عام للصلاة والاستغفار والتسبيح^(٤٠). وتظهر الصور التي تبثها وسائل الإعلام الحجاج إما متجمعين على جبل عرفات أو على الطريق المؤدي إلى عرفات أو في محيط مسجد النمرة^(٤١)، وذلك تأسياً بسنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يلقي خطبته الأخيرة في عرفات، إلا أنّ العديد منهم (مثل الذين كانوا في مجموعتنا) يقضون يوم عرفة في «مخيمات» مخصصة يوفرها مقدمو خدمات الحج ضمن حدود مشعر عرفات وعلى مسافةٍ قريبةٍ من محطة قطار المشاعر المقدسة بعرفات عرفات ومواقف الحافلات سيرًا على الأقدام^(٤٢). وتتكون هذه المخيمات من خيامٍ كبيرةٍ مكيفةٍ (تقام خصيصًا لهذا اليوم)، حيث يستمع الحجاج إلى خطبة عرفة من مسجد نمرة، ويصلون الظهر والعصر جمعًا وقصرًا. وبعد إتمام هذه المناسك، يبقى الحجاج في صعيد عرفات طوال اليوم حتى غروب الشمس، ثم يتوجهون إلى مزدلفة^(٤٣).

والحال أنّ مزدلفة منطقة مفتوحة تقع بين منى وعرفات. ويمكن الوصول إليها الآن عبر قطار المشاعر المقدسة الذي اختصر وقت التنقل من عرفات إلى مزدلفة بشكلٍ كبير، وذلك لمن حالفه الحظ

(٣٧) "Al-Mashaer Metro Line Begins Operations for Hajj Season"، الشرق الأوسط، ١٣ يونيو ٢٠٢٤. english.aawsat.com/varieties/5030564-al-mashaer-metro-line-begins-operations-hajj-season

(٣٨) "Saudi Arabia's Mashaer Train Transports More than 2.2m Hajj Pilgrims"، عرب نيوز، ١٩ يونيو ٢٠٢٤. www.arabnews.com/node/2533791/saudi-arabia

(٣٩) التلبية ذكرٌ يُردده الحرمون خلال الحج أو العمرة بعد نية الإحرام وطوال فترة أداء النسك. انظر Hajjumrahplanner.com/talbiyah/ (٤٠) انظر thepilgrim.co/mount-arafat/

(٤١) انظر thepilgrim.co/masjid-nimrah/

(٤٢) في خيمتنا، كان الحجاج السعوديون الشباب متحمسين للقاء اللاكَم الشهير لإسلام ماخاشيف، الذي كان يؤدي فريضة الحج هو أيضًا. انظر www.espn.com/mma/fighter/_/id/3332412/islam-makhachev

(٤٣) "Pilgrims Stay Overnight at Muzdalifah after Descending from Arafat"، سعودي جازيت، ١٦ يونيو 2024saudigazette.com.sa/article/643628.

باستخدامه^(٤٤). (في الواقع، أفاد حجاج سبق لهم أداء المناسك أن دخول مزدلفة ومغادرتها كانا يستغرقان ساعاتٍ طويلةٍ في الماضي)^(٤٥). ومرة أخرى، كان تنظيم حركة الحجيج على دفعاتٍ مثاليًا، حيث تعمل قطاراتٌ متعددةٌ من مختلف المحطات على فتراتٍ منتظمة. وقد توجّهت مجموعات تضم حوالي ٢٠٠ حاج إلى مداخل مختلفة للمحطات للحد من الازدحام الشديد؛ وهذا جعل وقت انتظار القطارات مقبولًا بالنظر إلى عدد المستخدمين الكبير. وفي مزدلفة، يقضي الحجاج اليوم الثاني من الحج، مساء التاسع من ذي الحجة تحت النجوم. وعلى عكس منى، لا توجد خيام أو أي مرافق إقامة في الموقع، لكن تم توفير بعض الطعام والشراب عند وصولنا^(٤٦)، بالإضافة إلى أماكن مخصصة لمقدمي خدمات الحج، مع أن العديد من الحجاج يمكنهم الجلوس في أي مساحة شاغرة. في مزدلفة، يتضح العدد الهائل من الحجاج، وتقام صلاتا المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، ويُصحح الحجاج بجمع العدد المحدد من الحصى لرمي الجمرات خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة التالية^(٤٧).

وفي يوم النحر (ثالث أيام الحج)، يُصلي الحجاج صلاة الفجر في مزدلفة، ثم يعودون إلى منى (ركبنا القطار إلى محطة الجمرات) لبدء رمي الجمرات، المعروف أحيانًا بـ«رجم الشيطان أو الرمي»، حيث يرمي الحجاج الجمرات الثلاث في منى^(٤٨). وبعد وصولنا إلى المحطة، انطلقنا مع حشود الحجاج الغفيرة لأداء رمي جمرة العقبة الكبرى، وهو الرمي الوحيد الذي يُؤدى في هذا اليوم (ويُفضل أن يكون بين شروق الشمس ومنتصف النهار). ورغم ضخامة الحشود، كانت حركة الحجاج خلال هذا الرمي الأول منظمة وهادئة نسبيًا، حيث حرصت قوات الأمن والمتطوعون على أن تكون حركة الحجاج في اتجاه واحد. كذلك، شكلت قوات الأمن حواجز بشرية بربط الأذرع لتوجيه تدفق الحجاج إلى جانبي جمرة العقبة بالتناوب، ثم لإخراجهم من مبنى الجمرات الضخم متعدد الطوابق. وعند العودة إلى مقار حملاتهم في منى، يخلق الحجاج رؤوسهم، وهي شعيرة إلزامية قبل أن ينزعوا ملابس الإحرام، ويرتدوا ثيابهم العادية ليكملوا ما تبقى من مناسك الحج^(٤٩).

(٤٤) قد تستغرق الرحلة بالحافلة من عرفة إلى مزدلفة وقتًا طويلاً.

(٤٥) لقاءات المؤلف، ٢٠٢٤.

(٤٦) يبلغ طول مزدلفة ٤ كم، ومساحتها ١٢،٢٥ كم^٢. انظر /thepilgrim.co/muzdalifah/

(٤٧) انظر /Hajjumrahplanner.com/rami-al-jamarat/

(٤٨) الرجوع نفسه. هناك ثلاث جمرات، تعرف بجمرة العقبة أو الجمرة الكبرى (العمود الكبير)، والجمرة الوسطى (العمود الأوسط)، والجمرة الأولى أو الصغرى (العمود الصغير).

(٤٩) انظر /Hajjumrahplanner.com/halq-taqsir/

بعد يومي الحج الثاني والثالث الشاقين، يبقى الحجاج في مقرات حملاتهم خلال أيام التشريق (رابع وخامس وسادس أيام الحج)، حيث يُطلب منهم فقط رمي الجمرات الثلاث، بدءًا من أصغر عمودٍ ثم الأكبر فالأكبر⁽⁵⁰⁾. تتيح هذه الأيام الهادئة نسبيًا للحجاج فرصة التأمل في تجربة الحج، واستشعار التجارب والمشاعر الاستثنائية التي اجتروها، كما أنها فترة مهمة ليتعرف الحجاج على بعضهم البعض. ففي أبراج منى، على سبيل المثال، نُظمت مجموعة متنوعة من الأنشطة الجماعية التي أتاحت للأصدقاء القدامى والجدد مشاركة مشاعرهم وقصصهم حول رحلات الحج المختلفة. وبالنظر إلى أهمية الحج وفوائده على مستوى الفرد والجماعة، ندرك أن الحج يُسهّل التواصل بين مختلف شرائح المجتمع الإسلامي، وهذا يتيح التفاعل الثقافي، وتبادل المفاهيم والأفكار بينها. وبالتمعن في هذا المعنى السامي، نجد أن الحج يُشبه اجتماعًا عظيمًا لمختلف أطياف العالم الإسلامي⁽⁵¹⁾.

وقبل إتمام مناسك الحج، يُطوف الحجاج طوافًا واحدًا أو طوافين في المسجد الحرام؛ هما: طواف الإفاضة وطواف الوداع. وبعد إتمام الطواف الأخير، يُصلي الحجاج صلاةً أخيرة في المسجد الحرام ليطمئنا بذلك مناسكهم، ويصبحون رسميًا حجاجًا، أي أنهم استوفوا بالكامل كافة أركان الحج. ومع ذلك، وحتى بعد إتمام مناسك الحج، يحتاج الحاج لبعض الوقت حتى يستوعب تجربة الحج، ويتأمل تفاصيلها (أضف إلى ذلك الإرهاق الجسدي والذهني الذي يشعر به بعد أداء المناسك).

وفي ختام الحج، تساور الحاج مشاعر مختلطة؛ إذ يشعر برضا روحاني عميق، وبسعادةٍ بالغة بأن تمت له مناسك الحج، لكنه يشعر في نفس الوقت بالحزن على انتهاء هذه التجربة الفريدة والمهمة. وباعتباري حاجًا، لا أعلم إن كنت سأتمكن من أداء فريضة الحج مرة أخرى، وحتى لو تمكنت من أدائها ثانية، فأنا أعلم يقينًا أن أي حجٍ آخر لا يمكن مقارنته برحلة عمري.

(50) انظر Hajjumrahplanner.com/rami-al-jamarat/

(51) www.muslimsholytravel.co.uk/blog/importance-of-Hajj-and-its-benefits-individual-and-collective/

تجربة المتطوع

لقد عملتُ في عام ٢٠٢١ في برنامج «خدمة ضيوف الرحمن» (PEP)؛ وهو أحد برامج تحقيق رؤية المملكة ٢٠٣٠ في قطاع الحج والعمرة^(٥٢)، ويهدف لزيادة عدد الحجاج القادمين من خارج المملكة كل عامٍ من ٨ ملايين حاج ومعتمر إلى ٣٠ مليونًا بحلول العام ٢٠٣٠. كذلك، يهدف المشروع لتحسين جودة الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن عبر إثراء تجاربهم في الحج والعمرة من لحظة اتخاذهم القرار وحتى إتمام النُسك بنجاح. وخلال السنوات الأخيرة، أجرى وزير الحج والعمرة، الدكتور توفيق بن فوزان الربيعة، عددًا من الزيارات الشخصية إلى الدول الإسلامية لتعزيز التعاون الثنائي، في إطار برنامج الشراكة بين القطاعين العام والخاص، وسعيًا لتقديم أفضل الخدمات للحجاج القادمين من الخارج، وضمان تحسين المعلومات المستمدة من التغذية الراجعة التي تستخدم لمعالجة أيِّ مخاوف محتملة^(٥٣).

بينما متاح بعض الفرص لموظفي برنامج «خدمة ضيوف الرحمن» (PEP) للعمل في الحرمين الشريفين خلال موسم الحج، فإن طبيعة معظم هذه الوظائف تتعلق بالإعلام. في إحدى المرات أثناء عملي في البرنامج، قال لي أحد أصدقائي ممازحًا إنني أعمل في «برج عاجٍ في الرياض، لأرسم استراتيجيات لمكة»، وأنه ينبغي عليّ أن «أنزل من ذلك البرج» وأشارك ميدانيًا كمتطوع في الحج لأعيش الواقع كما هو. (وفي الحقيقة، كما اكتشفت لاحقًا، فإن الانتقال من العمل في مكتب في الرياض، والتخطيط لموسمي الحج والعمرة، إلى العمل في قلب مكة النابض بالحياة خلال موسم الحج، لم يكن انتقالًا هينًا). أثارت تعليقات صديقي ضحكي في البداية، واعتقدت أنه لا يفهم طبيعة البرنامج ولا أهدافه ولا نطاق عمله المتصل بالحج والعمرة. غير أنني، وبعد تأمل استغرقتني، أدركت أن في كلامي بعضًا من الحقيقة، وهو ما وُلد في نفسي رغبةً قويةً في التطوع كباحث ميداني لصالح وزارة الحج والعمرة في حج ١٤٤٥هـ^(٥٤). ومع ذلك، فإن الفرص التطوعية لا تُعلن في الغالب إلا في اللحظات الأخيرة. وهذا ما حدث بالفعل: فقد تلقيت ذات يوم مكالمة هاتفية تُبلغني بأنه إن كنت أرغب في الحصول على موقع كباحث ميداني في حج عام ١٤٤٥، فعليّ أن أغادر إلى مكة في اليوم التالي أو الذي يليه كحد أقصى لتأكيد مشاركتي. وبالفعل، سافرت إلى مكة على الفور تقريبًا.

(52) www.vision2030.gov.sa/en/explore/programs/pilgrim-experience-program.

(53) وزير الحج والعمرة يزور إندونيسيا للتنسيق لتحسين الخدمات المقدمة للحجاج، وكالة الأنباء السعودية، ٢٩ أبريل ٢٠٢٤

www.spa.gov.sa/en/N2093199

(54) انظر www.haj.gov.sa/Home

تجربة التطوع

خلال موسم حج ١٤٤٥هـ، كان هناك عدد كبيرٌ ومتنوع من المتطوعين الذين نفذوا مهام مختلفة، منها توجيه الحجاج وتقديم الدعم اللوجستي لتعزيز سلامتهم وأمنهم إلى جانب قوات الأمن والشرطة، ومؤسساتٍ أخرى؛ مثل: الهلال الأحمر.

ويمكن تلخيص دوري ونطاق عملي التطوعي على مدى فترة المشروع التي دامت أسبوعين اثنين كما يلي:

- جمع ما يزيد على ٩٢,٠٠٠ عينة ميدانية لقياس جودة المرافق والخدمات التي تقدمها حملات الحج. كما قمتُ بقياس رضا الحجاج عن مدى سهولة أداء مناسك الحج، وجودة الخدمات المقدمة لهم منذ وصولهم حتى مغادرتهم؛
- تطوير منهجية إحصائية مناسبة للعينات الميدانية، تُوفر بياناتٍ دقيقةً حول جودة الخدمات ورضا الحجاج؛
- تطوير لوحة معلومات تفاعلية لإدخال البيانات يوميًا، تُمكن الفريق من متابعة الاهتمامات، وإدارة المهام، وتحقيق أهداف الأداء؛
- جمع بيانات الحج، ورفعها لغايات التحليل، وإعداد التقارير لرفعها إلى معالي وزير الحج والعمرة؛
- تطوير آلية للتعامل مع مختلف الحالات والطوارئ والأزمات التي قد تحدث في الميدان وتتطلب تدخل الجهات المعنية.

تمثل الهدف العام للمشروع في تقييم وقياس مستويات الجودة الفعلية للخدمات المقدمة للحجاج ومدى رضاهم عنها، وقد ساهمت الزيارات الميدانية في كلٍ من منى ومزدلفة وعرفات بشكلٍ رئيسي في تحقيق هذا الهدف، حيث توزع فريقنا -المؤلف من حوالي ١٠٠ متطوعٍ ومتطوعة، يرتدون ستراتٍ خاصةٍ تحمل الشعار الرسمي لوزارة الحج والعمرة- على مناطق محددةٍ مسبقًا لكلٍ منا، حيث أجرينا تقييمًا لجودة مواقع الحملات، ومستوى السلامة فيها، ومدى ملاءمتها، وامثالها للوائح التنظيمية ذات العلاقة. كذلك، أجرينا استطلاعًا لمستويات رضا الحجاج باستخدام هواتفنا الذكية، حيث قدّموا تقييماتهم من خمس

نقاط. قمنا أيضًا بتحميل صورٍ من مشاهداتنا لدعم إجابات الاستبيان. أحد أعضاء فريقنا التطوعي كان متواجدًا في مكتبٍ بمكة المكرمة، كان بمثابة مركز التحكم والعمليات خارج المشاعر المقدسة، وتلخصت مهمة زميلنا في تسهيل استخدام تقنيات جمع البيانات، ومتابعة كافة المعلومات المهمة، بما في ذلك مواقع المتطوعين والبيانات التي جُمعت عبر هواتفهم الذكية. كذلك، أشرف المكتب على تحقيق الأهداف اليومية المتعلقة بعدد المسوحات المنجزة، والتقارير اليومية المتعلقة بجودة الخدمات. وقد تمت مشاركة هذه المعلومات مع وزير الحج والعمرة، والجهات الأخرى المعنية؛ مثل: الأجهزة الأمنية والصحية.

بدأ هذا المشروع التطوعي قبل بدء موسم حج ١٤٤٥هـ ببضعة أيام، حيث شهدت تلك المرحلة تعريف المتطوعين بواجباتهم ومهامهم، وتزويدهم بزيهم الرسمي (سترات رسمية وبطاقات هوية)، بعد ذلك، انتقل المتطوعون إلى سكنٍ مشتركٍ يقع خارج المشاعر المقدسة، حيث كانوا يُنقلون يوميًا من وإلى مواقع الحج. وقبل الانطلاق، كانوا يتلقون التعليمات اللازمة إما عبر جلسات توجيهٍ مباشرة أو من خلال مجموعة مخصصة على تطبيق واتساب.

ومن خلال المجموعة، كان المتطوعون يطلعون على أسمائهم والفرق التي يعملون من خلالها، بالإضافة إلى عدد الاستبيانات المُستهدفة لكل شخص، والمواقع المُخصصة لكل فريق، وإطلاعهم على المستجدات والإجابة على الاستفسارات العامة. وفي وقتٍ لاحقٍ من اليوم - حوالي الساعة الرابعة مساءً، عندما بدأت بدأت درجات الحرارة بالانخفاض الطفيف - كان كل فريقٍ وقائده يجتمعون في مركباتهم المُخصصة لهم، ويتجهون إلى مواقعهم في المشاعر المقدسة. وعند وصولهم، يتوزعون لإتمام استبيانات الحجاج حتى يُكمل كلٌّ منهم هدفه اليومي، ثم يجتمعون ثانيةً، ويعودون إلى مقر إقامتهم.

من واقع خبرتي، يعد التنقل الجماعي من أصعب التحديات على الدوام، وأقصد به تنقل مجموعاتٍ كبيرةٍ من الحجاج من موقعٍ لآخر أثناء أدائهم مناسك الحج الإلزامية، كما هو موضحٌ أعلاه. فمن الناحية النظرية، يتم هذا التنقل الجماعي وفقًا لخطةٍ مُعدّةٍ مسبقًا يتلقاها كل مُقدّم خدمات حج مسبقًا من وزارة الحج والعمرة والمديرية العامة للدفاع المدني، وتتضمن تعليماتٍ ومواعيد توجيه مجموعات الحجاج بالحافلات والقطار وسيرًا على الأقدام، وذلك لتمكينهم من أداء مناسكهم.

وبطبيعة الحال، واجه موظفو الحج الذين يتعاملون مع هذه الكتل البشرية الكبيرة المتنقلة عددًا من العقبات؛ مثل: ارتباك الحجاج أو ضياعهم.

في حالاتٍ أخرى، قد يفوّتُ حاجٌّ أو مجموعةٌ من الحجاج الالتحاق بمجموعتهم بعد مغادرتهم مقر الحملة أو قد يضلوا طريقهم ولا يتمكنوا من الاتصال بمجموعتهم. في بعض الأحيان، لا يتمكن هؤلاء الحجاج من الالتحاق بمجموعاتهم أو قد يغيب عنهم موعد عودة المجموعة إلى مقر الحملة. وللأسف، لم تقدم تقنيات الملاحه، مثل خرائط جوجل أي إرشاداتٍ مفيدةٍ للوصول إلى وجهاتٍ محددةٍ خلال موسم حج ١٤٤٥؛ مثل: مقرات حملات الحج، خاصةً وأن تصاريح العمل واللوائح الخاصة بهذه المواقع المؤقتة لم تلزمهم بتحديد مواقع المخيمات بدقةٍ على تطبيقات الخرائط الرقمية.

ومع تتابع أيام موسم حج ١٤٤٥، وخلال فترات استراحتي القصيرة من واجباتي التطوعية، كنت أتابع النقاشات حول الحج عبر منصات التواصل الاجتماعي، مثل منصة «X» («تويتر» سابقًا). وقد اتضح لي عندها أن الكثيرين ينشرون عن تصاريح الحج المزورة. كما لاحظتُ هذه المشكلة خلال عملي الميداني عندما لاحظتُ أن بطاقات هوية «نُسك» تعد مطلبًا أساسيًا من الحجاج.

للأسف، لاحظتُ أن بعض هذه البطاقات مزورة، ما جعل وجود الحجاج غير قانوني^(٥٥). وقد تفاجأت بأن بطاقة «نُسك» الجديدة أصبحت أداة تستخدم للتحايل على الأنظمة والقوانين.

وكما هو الحال مع أي ابتكار، تكشف هذه الممارسات المؤسفة عن الوجه الآخر للتقنية الحديثة؛ حيث تساهم بشكلٍ كبيرٍ في تحسين حياة البشر، ولكنها في الوقت ذاته تكون عرضة للاستغلال من قبل بعض ضعاف النفوس. والأنظمة المصممة لتعزيز الكفاءة والأمن نفسها قد تُخترق إذا استُغلت لأغراضٍ غير مشروعة. وجود الحجاج غير المصرح لهم أحدث خللاً في الجانب اللوجستي للحج، والذي حُصّر له بعنايةٍ ودقةٍ (ويستغرق التخطيط والتدريب له عدة شهور)، وفرض أيضًا ضغطًا غير متوقعٍ على البنى التحتية للحج، كما أنه عرّض الحجاج النظاميين للخطر، وحقّض من جودة حجهم.

(٥٥) سالي نبيل، "Egyptian Pilgrims 'Totally Abandoned'" في حرارة الحج، BBC، ٢٠ يونيو ٢٠٢٤م www.bbc.com/news/articles/cxrrzp479r4o

كلمة ختامية: «أيام الحج المباركات»

مهما بلغنا من العلم والمعرفة عن الحج، يظل الواقع أسمى وأجلّ من كل وصف، فالأثر الروحي والعاطفي لتلك اللحظات لا يُدرك إلا بالتجربة التي ستفتح عينيك على التنظيم الدقيق والمثير للإعجاب لمناسك الحج، حتى بالمقاييس الدّوليّة. حيث ستدرك حين تشارك في أداء مناسك الحجّ سواء كحاجّ أو كمتطوّع، أنّ الأمر لا يقتصر فحسب على جمع حوالي مليوني شخصٍ على صعيد واحد، وإنما بضمان سلاسة التنقل والحركة لهذه الجموع الغفيرة من الناس في تلك البقاع الطاهرة. هكذا تتجلى بوضوح الجهود الكبرى التي تبذلها المملكة العربية السعودية، حكومةً وشعبًا، عامًا بعد عام، لتقديم أفضل تجربة ممكنة لضيوف الرحمن، وهذا ما يفسر اعتزاز وفخر السعوديين بتقديم هذه الخدمات الجليلة التي تعد محل تقدير وإجلال الحجاج، لا سيما في الجانبين الأكثر أهمية في هذه التجربة الروحانية الفريدة: السلامة والأمن. ويؤكد ذلك التنسيق المتكامل والمتقن بين مختلف القطاعات الحكومية لتقديم خدماتٍ نموذجيةٍ تثري التجارب الروحانية للحجاج^(٥٦). إلا أن هذه الجهود الجبارة كثيرًا ما يجري التقليل من أهميتها أو تجاهلها من قبل بعض وسائل الإعلام الأجنبية التي تميل إلى التركيز على ما تعتبره سلبياتٍ خلال موسم الحج^(٥٧).

ماذا يعني التطوع في خدمة الحجاج؟ إنه تكليفٌ بمسؤوليات استثنائية، لا مجال فيها لأيّ تهاون، خصوصًا في القرارات المتعلقة بالسلامة؛ مثل إدارة الحشود. ولذلك، من المهم توجيه جهود وتركيز المتطوعين ورجال الأمن لتفعيل وتسهيل خطط تنقل الحشود الهائلة للحجاج الذين غالبًا ما يعانون من الحر والإرهاق. وبتضافر الجهود المؤسسية والفردية على كافة المستويات، يمكننا إنجاح مواسم الحج وضمان سلامة الحجاج.

وحتى مع ظهور بعض المشكلات أو الشكاوى من الحجاج، فإن تجربتنا تؤكد أنهم غالبًا ما يضعون هذه الأمور في سياق «المعجزة»، تقديرًا لنعمة أداء فريضة الحج. ويتجلى ذلك في نظام الحصص السنوي،

(٥٦) شهد كلا المؤلفين أعدادًا كبيرة من أفراد الأمن يتجاوزون مهامهم التقليدية، ويقدمون الرعاية والدعم للحجيج، وتبريدهم بالماء، حتى في الظروف الصعبة والمجهدة.

(٥٧) تواصلت قناة BBC مع الحاج الذي شارك في كتابة هذه الوثيقة في أواخر موسم حج ١٤٤٥، وطلبت إجراء مقابلة معه حول وفيات الحرّ الشديد، لكنه رفض موضحًا أنه حاجّ يؤدي المناسك، وأنّ هذه المناسك لا تشمل إجراء مقابلاتٍ مع وسائل إعلامٍ أجنبية.

الذي يحدد لكل دولةٍ عددًا أقصى للحجاج المسموح لهم بالتوجه إلى مكة المكرمة، بما يتناسب مع عدد سكانها. ومما يثير الأسى، كما تجلى في وضع مصر خلال حج عام ١٤٤٥، أن الراغبين في أداء الحج من خارج المملكة يواجهون فترات انتظارٍ طويلة.

فضغوط الانتظار تدفع الكثيرين إلى الوقوع فريسةً لوكلاء عديمي ضمير، يقدمون باقات حج متدنية المستوى أو غير قانونية في أسوأ الحالات. وتؤدي هذه الممارسات إلى سلسلةٍ من التجارب المؤلمة التي تفسد «رحلة العمر»، وتولد تأثيرًا متسلسلاً يبدأ بتداعياتٍ سلبيةٍ من الخارج، ليُلقي بعبءٍ ثَقِيلٍ على أنظمة الحج وبنيته التحتية،

ورغم كل شيء، غمرني التطوع في الحج بشعورٍ لا يوصف من الرضا والإنجاز، عندما رأيت الحجاج يعودون إلى بلادهم سالمين بعد أداء المناسك. وأمسينا جميعًا، حجاجًا ومتطوعين ورجال أمن، نحمل في قلوبنا ذكرياتٍ لا تُنسى، تُحيي فينا الشوق لتكرار هذه التجربة الروحانية في عامٍ ما.

كيف يشعر الحاج بعد إتمام مناسك الحج؟ من المؤكد أنه من غير الممكن البقاء في حالة روحية متقدمة طوال فترة الحج. إذ يمر الحاج (أو المتطوع) خلال تجربته بمشاعر متنوعة، إيجابية وسلبية على حد سواء، كالشعور بالمتعة الاجتماعية أو الإرهاق الجسدي. ومع ذلك، فإن ما يميّز تجربة الحج ويمنحها فرادتها وأهميتها هو هذا المزيج المعقد من المشاعر، الروحية والإنسانية معًا، التي تتقاطع وتتكامل خلال الرحلة.

بادئ ذي بدء، أقدم نصيحة لكل من يفكر في أداء الحج: ركّز على «التحضير» و«الأناة»، وهما العنصران الأساسيان لنجاح هذه الرحلة. كما ناقشنا سابقًا، فإن الإعداد الشامل هو مفتاح أداء حج ناجح، وسرعان ما يدرك الحاج أثناء المناسك أن الأناة ليست فضيلة فحسب، بل ضرورة لا غنى عنها. ثانيًا، لا شك أن إتمام الحج يعد إنجازًا حقيقيًا، بل قد يكون من بعض النواحي تحديًا كبيرًا. فمشاعر الابتهاج تمتزج بإحساس عميق وطاقٍ بالتواضع أمام عظمة التجربة برمّتها. فالحج تجربة روحانية استثنائية، وفي الوقت نفسه تجربة إنسانية بامتياز؛ إذ يشارك فيها المرء في حدث يتجاوز الشخصي فيه ويتجاوز

أهميته الفردية. باختصار، يشعر الحاج بشرف وامتنان وامتيّاز، ويغمّره التواضع أمام تجربة فريدة لا تشبه أي شيء مرّ به من قبل. فالحج تجربة روحية وإنسانية عميقة تمحو الذنوب، وتقرب كل من يشارك فيها من الله تعالى، وتُجسّد وحدة المسلمين في كل مكان.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مؤسسة غير حكومية مستقلة مقرها مدينة الرياض، بالمملكة العربية السعودية. وقد تأسس المركز عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، من قِبَل مؤسسة الملك فيصل من أجل الحفاظ على إرث المغفور له الملك فيصل ومواصلة رسالته النبيلة في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. يُعدُّ المركز منصة للبحوث والدراسات الإسلامية والمعاصرة، تجمع الباحثين ومراكز الأبحاث من المملكة وحول العالم، من خلال المؤتمرات وورش العمل والمحاضرات، وإنتاج ونشر الأعمال الأكاديمية، وأيضاً من خلال الحفاظ على المخطوطات الإسلامية. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة النقاشات والاهتمامات الأكاديمية، مُتتبعاً إسهامات المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والفنون، والآداب قديماً، وحديثاً.

تضم إدارة البحوث بالمركز مجموعة من الباحثين الرموقين والواعدين الساعين إلى إنتاج أبحاث وتحليلات متعمقة في مختلف المجالات، كالدراسات الثقافية، وعلم الاجتماع الاقتصادي، والدراسات الإفريقية، والدراسات الآسيوية، بالإضافة إلى الدراسات اليمنية. يحتوي المركز على المكتبة التي تحتفظ بمخطوطات إسلامية نفيسة، وقواعد بيانات ضخمة في مجال العلوم الإنسانية، كما يضم إدارة المتاحف التي تحتوي على ست مجموعات قيمة يحفظها المركز، ويحتوي كذلك على متحف الفن العربي الإسلامي. ويضم المركز «دار الفيصل الثقافية»، وهي ذراعه التنفيذية فيما يتصل بصناعة النشر؛ حيث تقوم الدار بإصدار الكتب والمجلات الثقافية والحكِّمة، كما يضم «دائرة آل فيصل» التي تُعنى بتوثيق سيرة الملك فيصل وأبنائه، وحفظ تراثه.

لمزيد من المعلومات يُرجى زيارة موقع المركز <https://kfcris.com/ar>



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

ص.ب ٤٩٠٥١ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٥٥٥٥٠٤ (١١ ٩٦٦+) - فاكس: ٤٦٥٩٩٩٣ (١١ ٩٦٦+)

بريد إلكتروني: research@kfcris.com